المرأة في أدب رشيد الضعيف؛ رواية "أوكي مع السلامة"

WOMEN İN RACHID DAIEF'S LITERATURE: "O.K. GOOD BYE" NOVEL

FATİMA PARCHEKANİ[1]

ABSTRACT

Rachid Daief is a Lebanese novelist whose writings were translated into13 languages and 2 of his writings was transformed into a play, and 2 into movies.

Women and their causes are almost the main axis that he bases women on and Arab-Lebanese women in particular.

This paper aims at studying women's personalities, main ones in Rachid Daief's novels. It appears that he treats women as free and modern, away from traditional stereo typing personality, which puts two patterns of women personalities in the Arab world; the old generation and the modern one.

The main character in Daief's novel is a woman who enjoys modernity and is active and has a great role in the motion of the novel, via direct effect on her own fate and being non-submitting. A woman that is proud of herself, ergo, a woman who makes man proud of her. An emerging character that develops throughout the novel and gradually reveals other parts of her personality.

Key words: Novel, Woman, Rachid Daief, Arab world

الملخّص

رشيد الضعيف روائي لبناني ترجمت أعماله إلى ثلاث عشرة لغات، وتمّ تحويل اثنين من رواياته إلى مسرحيّتين باللغة الفرنسيّة، وروايتين إلى فيلمين سينمائيين.

إنّ المرأة والقضايا المتعلّقة بها، تكاد تكون المحور الأساسي في الكثير من روايات رشيد الضعيف، حيث يتأسّس بناء روايته على شخصيّة المرأة بشكل عامّ، والمرأة العربيّة– اللبنانيّة بشكل خاصّ.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الشخصيّات النسائيّة، خاصّة الرئيسيّة منها في روايات رشيد الضعيف، فيتبيّن أنّه يعالج شخصيّة المرأة العصريّة وتحرّرها، دون أن يهمل النظر إلى المرأة التقليديّة.

1 - Assistant Professor Dr., Kharazmi University, Faculty of literature, Arabic language and literature department, Tehran, Iran (fparchegani@gmail.com).

وبهذا الأمر يضع نمطين متناقضين من أنماط شخصيّة المرأة في العالم العربي، نمط من الجيل السابق وآخر من الجيل الحاضر.

إنّ المرأة الرئيسية في رواية الضعيف، هي امرأة تحظى بصفات المرأة العصرية، وهي امرأة فاعلة تؤثّر في حركة الرواية، من خلال تأثيرها في مصير نفسها، ومن خلال رفضها أن تكون مفعولة. المرأة التي تفتخر بنفسها لتجعل الرجل يفتخر بها، وهي شخصيّة نامية ديناميّة تتطوّر خلال الرواية وتكشف الجوانب المختلفة من شخصيّتها شيئًا فشيئًا.

الكلمات المفتاحيّة: رواية، المرأة، رشيد الضعيف، العالم العربي.

أ– المقدّمة

موضوع المرأة في الرواية العربيّة يحتلّ حيّزًا كبيرًا يؤثر في حركة النصّ الروائي، حيث أنّ هذا الموضوع يشكّل أحيانًا الدافع الأوّل والأقوى للكتابة الروائيّة أو السرد الحكائي. لذلك من المهمّ التعرّف على هذا الموضوع في جوانبه الفنية المختلفة، واهتمّ النقّاد برصد هذه الجوانب فيما يتعلّق بالمرأة في الروايات العربية.

إنّ اهتمام الكتّاب الروائيّين بموضوع المرأة، يبدو من أوّل رواية عربيّة، وهي رواية "وَيْ إذن لست بإفرنجي" لخليل أفندي الخوري المؤلَّف في ١٨٦٠، حيث نجد شخصيّة إميلي التي تعتبر الشخصيّة المحوريّة في الرواية والتي كانت تمثيلاً دقيقًا للقضيّة المحوريّة، ويصوّر الكاتب الصراع الداخلي لهذه المرأة[٢].

إنّ نمذجة موضوع المرأة في الروايات العربيّة في البلدان المختلفة متعدّدة ومختلفة اختلاف البيئة التي تعيش فيها المرأة. فمثلاً في الرواية العربية الخليجية، نجد نموذج المرأة الحذرة التي تدخل إلى الحضارة والمدنية الحديثة وتحذر من الوقوع في ذلة تكون قد جاءت مع الحضارة الحديثة، كما نجد في الرواية الفلسطينية نموذج المرأة التي تضحّي وتقاوم من أجل الوطن، بينما في المغرب العربي تصوّر المرأة في الرواية على أنّها تعيش الحضارة الحديثة بكلّ أزماتها[٣].

أمّا في أدب رشيد الضعيف، فيمكن القول إنّ المرأة والقضايا المتعلّقة بها، تكاد تكون المحور الأساسي في الكثير من رواياته؛ فعلى المرأة بشكل عامّ، وعلى المرأة العربيّة– اللبنانيّة بشكل خاصّ، يتأسّس بناء رواياته.

[٢] - الرواية، ص ٨٨، نقلاً عن: محمد سيد عبد التواب، بواكير الرواية، ص ٢١٩.

[٣] – عبد الحميد بكر، المرأة في الرواية العربية.

رشيد الضعيف روائي وشاعر لبناني، ولد سنة ١٩٤٥، صدر له حتّى الآن سبع عشرة روايات، إضافة إلى ثلاثة دواوين شعرية، وترجمت أعماله إلى أكثر من عشر لغات، وتمّ تحويل إحدى رواياته إلى مسرحيّة باللغة الفرنسيّة. إضافة إلى تحويل روايتين له إلى أفلام. وروايته "أوكي مع السلامه" صدرت سنة ٢٠٠٨.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الشخصيّات النسائيّة، خاصّة الرئيسيّة منها، في روايات رشيد الضعيف، وذلك من خلال رصدها واكتشاف فئاتها بغية إلقاء الضوء على أسلوب الكاتب في رسم ملامح الشخصيّة النسائية من جهة، والتعرّف على أنواع هذه الشخصيّات من وجهة نظره من جهة أخرى.

وفي منهجنا للدراسة في هذا البحث، نعطي الأولوية للنصّ الروائي متتبّعين دور المرأة في البنية الداخلية للنصّ. لكن، إلى جانب الاعتماد على النصّ الروئي، نحاول الاستفادة من المنهج الاجتماعي في تحليل الشخصية الروائية.

ب– العتبات وشخصيّة المرأة في رواية "أوكي مع السلامة"

كما أنّ لكلّ بناء عتبة، فللبناء الروائي عتباته أيضا. العتبات، هي مجموعة مقدمات للنصّ الروائي توصل معلومات وأفكارا عمّا سيجري داخل الرواية، منها، الغلاف وعنوان الرواية، والتقديم والإهداء. الأمر الذي تحدّث عنه جيرار جينيت، وسمّاه "عتبات"، وهو نصّوص موازية للنصّ الأصلي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه، وتلعب دورًا هامًا في نوعية القراءة وتوجيهها[٤].

عند النظر في رواية "أوكي مع السلامة" لرشيد الضعيف، نرى وجود علاقة بين الشخصيّة الروائيّة والعتبات، تحديدًا الغلاف والعنوان. فعنوان الرواية بحدّ ذاته يُعطي فكرة عمّا ستدور حوله الرواية، فعبارة "أوكي مع السلامة" توحي بأنّها إجابة لشخص أراد الذهاب أو المغادرة. وينبغي أن يكون الشخص الذي أطلق هذه العبارة، لا يريد الإصرار لبقاء المغادِر.

كما أنّ لصورة الغلاف الأمامي دلالة واضحة لمحتوى الكتاب. إنّ الغلاف الذي قد يكون من صنع الناشر، الذي يحاول الجمع بين محتوى الكتاب وترغيب القارىء، عبارة عن صورة لساقَي امرأة تخرج من الباب وتغادر. فهذه الصورة تساعد عنوان الكتاب ليعطيا فكرة أوضح عن الرواية وما سيجري فيها. فمن هنا يصوّر كل من الغلاف والعنوان فضاءً خاصًّا عن أحداث الرواية لدى المتلقّي، ويشكّلان الإشارات الأولى التي يرسلها الكاتب إلى المتلقّي، مُلمحا عما يدور في ذهنه من الأحساسيس والأفكار والمضامين والرؤى الواردة في الرواية.

[٤] – عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ص ١٦.

إضافة إلى ذلك، فإنّ اللون الأحمر سائد على وجهي الغلاف: الأمامي والخلفي، وذلك من خلال اللون الأحمر لحذاء المرأة ولون عنوان الكتاب. وهذا قد يوحي بأنّ ما يجري له علاقة بالحبّ. فاللون بدوره إشارة إلى أحداث الرواية، وإلى أنّ ما سيقرأه القارىء سيكون حول مغادرة امرأة تركت حبيبها أو زوجها. وهذه كلّها إشارات إلى شخصيّة البطلة في الرواية.

بعد قراءة الرواية، نستنتج أنّ صورة الغلاف ليست إلاّ رمزا لترك المرأة حبيبَها، حيث أنّ فعل المغادرة لا يتمّ عن طريق ترك المنزل مباشرة، بل هي تخبر حبيبَها بقرارها لتركه، عن طريق اتّصالها الهاتفي، إلاّ أنّ الناشر اختارا صورة رمزيّة توحي بالانفصال بين الحبيبَين.

ت– بناء شخصية المرأة

تُعتبر الشخصيّة وسيلة لكاتب الرواية لتجسيد رؤيته، والشخصية هي "ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرّك الواقع من حولنا، وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقوّمات الرئيسية للرواية، وبدون الشخصية لا وجود للرواية، لذا تجد بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم: "الرواية شخصية"[٥].

إنّ الشخصيات، وهي تعيش وتفعل، تتفاعل مع فضاءاتها الخاصّة والعامّة، وتكون معها علاقات مختلفة، سواء أكانت هذه الفضاءات أمكنة حميمية كالمنازل، أم عامّة كالمدن والبلدان، أم كانت أشياء طبيعيّة أو إنسانية[٦].

تكاد لا تخلو روايات رشيد الضعيف من شخصية نسائية رئيسيّة. هذا إلى جانب شخصيّات نسائية ثانوية تتنوّع بتنوّع موضوع الروايات. إذا نظرنا إلى مفهوم الشخصيّة السيميائية من مفهومها التقليدي الذي يرتبط بنظرية المحاكاة الأرسطية التي تجعل النصّ الأدبي عملية محاكاة للواقع الإنساني، وتصبح الشخصيات الروائية امتدادًا للشخصيات الواقعية، وما يسمّونه بمبدأ التكافؤ الدلالي المطلق بين العالم النصي والعالم الخارجي[٧]، فنرى لدى رشيد الضعيف أنّه على صعيد بناء شخصية المرأة، يصوّر شخصيّة المرأة اللبنانية، إلاّ أنّه يبتعد عن أحادية الصوت، ويترك مجالاً واسعًا لظهور شخصيّات متعدّدة تصبح نماذج للمرأة اللبنانية، من المرأة العصرية القوية التي تمتلك السلطة وتسعى لخدمة مصالحها، إلى المرأة التقليدية التي تترك نفسها لعبةً للقَدَر. ويرسم رشيد الضعيف ملامح أنواع مختلفة من النساء

[٥] – شكري الماضي، فنون النثر العربي الحديث، ص ٣٠.

[٦] – عبد اللطيف محفوظ، صيغ التمظهر الروائي، ص ١٧٩.

[٧] –عبد الحميد هيمة، سيميائية الشخصية النسوية في رواية "راس المحنه" لعز الدين جلاوجي.

داخل نصوص رواياته. كما أنّ كتاباته حميميّة[٨]، وهذا الأمر يزيد من جرأته في خلق الشخصيّات النسائيّة وكيفيّة التحدُث عنها.

وفي رواية "أوكي مع السلامة"، نجد هذه الأنواع المختلفة من النساء، إلاّ أنّ الشخصية الرئيسية للمرأة تتمثّل في المرأة الحبيبة التي تغادر حبيبَها، إذ إنّ الكاتب اعتمد في تصوير مقوّمات الشخصيّة هذه على البعد الجسدي من جهة، وعلى البعد النفسي والاجتماعي من جهة أخرى. وفيما يتعلّق ببناء شخصيّة المرأة، يمكن رصد الأبعاد التالية:

ث– المرأة العصرية

إنّ المرأة التي يصوّرها الكاتب في روايته، هي نموذج للمرأة العصريّة، وينطبق هذا النموذج على فئة كبيرة من النساء اللبنانيات اليوم. كانت "هامة" بطلة رواية "أوكي مع السلامة" قد غادرت لبنان مع بداية الحرب الأهلية اللبنانية عام ١٩٧٥ إلى لندن، حيث التحقت بالمدرسة ثمّ بالجامعة، وبعد أن تخرّجت عملت هناك عدّة سنوات في عالم البنوك والمال، قبل أن تنتقل إلى نيويورك، حيث تزوّجت من شابّ إنكليزي، وأنجبت منه بنتًا، وعادت وحدها إلى بيروت بعد خمس وعشرين سنة من الغياب[٩].

وكانت هامة شعرت بحنين إلى لبنان وهي في نيويورك، فسعت للعودة إليه، وأرادت إتقان اللغة العربية حيث شعرت بالرغبة في هذه اللغة، فتسجّلت في قسم اللغة العربية في الجامعة. إنّها أيضًا نموذج للمرأة المثقّفة التي تجهد للارتقاء بثقافتها، حيث أنّه لم ينحصر نشاطها بالتعلّم في الجامعة، بل بادرت إلى تأليف لجنة ثقافية تهتم بإقامة علاقات مع المجتمع البيروتي المحيط، لأنّها رغبت بتحوّل الجامعة إلى جزء من النسيج الثقافي البيروتي، حتّى لا تبقى كما هي أقرب إلى جزيرة منعزلة عن محيطها[١٠].

إنّ تفكير هذه المرأة يفوق تفكير الكثير من النساء اللواتي ينظرن إلى أمور سطحية. وهي دائما تفكر في أمور أبعد من المنظور القريب. مثال ذلك، عندما منعها زوجها البريطاني من اصطحاب ابنتها إلى لبنان، بحجّة انعدام الأمن فيه، لم تفكّر في رفع الدعوى عليه، بل فكّرت في أمور أبعد من ذلك، في صراع الأمم والشعوب والحضارات، فكّرت أنّها عوملت بهذه الطريقة لأنّها عربيّة، ولأنّ العرب لم يركعوا يومًا لبريطانيا العظمى كما فعل نابليون بونابرت الفرنسي[١١].

---

[٨] - Sobhi Boustani, **Le héros chez Rachid ad-Da'îf** : la quête d'une identité.

[٩] – رشيد الضعيف، أوكي مع السلامة، ص ١٣.

[١٠] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٣٠.

[١١] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٣١.

إنّ عصريّة هذه المرأة نتجت عن أنّها عاشت في مدن عصرية، نشأت في لندن وعملت في نيويورك، أي في مدينتين لا ترضى المرأة فيهما أن تجلي صحنًا واحدًا أكثر مما يجليه زوجها أو شريكها. بل لا ترضى بأن تجلي صحنًا أكبر مساحة من الصحن الذي يجليه زوجها. وهي تحبّ الخروج كثيرًا إلى المطاعم والمراقص، وتحبّ السيارات الفخمة، والهواتف النقّالة الحديثة الصنع، وتحبّ الحياة الحلوة، ولا تحبّ المكوث في البيت مطوّلاً بلا سبب داع، كما أنّها كانت تحبّ الذهاب إلى البحر[١٢].

أمّا حبّ هذه المرأة العصرية للرجل، فيختلف أيضًا عن أنواع الحبّ العادية التي تحدث بين المرأة والرجل، حيث أنّها تحبّه في البداية ككاتب، بتجرّد وبدون معرفة مسبقة. وقراءتها لرواياته وإعجابها بها، يجعلانها تميل إليه. إذن، ذوقها وثقافتها ومعرفتها بالرواية، هي التي تشدّها نحو الحبّ[١٣].

ج– الشخصية النامية الدينامية

إنّها شخصيّة معقّدة لا تستقرّ على حال، وهي متغيّرة الأحوال، ولديها عنصر المفاجأة إضافة إلى قدرتها على التأثير في الشخصيات الأخرى. وهي شخصية مغامرة وديناميّة أيضًا[١٤]. كما أنّ هذه الشخصيّة تنمو شيئًا فشيئًا مع أحداث الرواية، فتنكشف الجوانب المختلفة لشخصيّتها كلّما تقدّم القارىء في قراءة الرواية.

إنّ شخصيّة "هامة" في الرواية نموذج لهذا النوع من الشخصيّات، حيث تتطوّر خلال الرواية، ابتداءً من انجذابها بكتابته قبل رؤيته، ومن ثمّ إعجابها به عند لقائهما، مرورًا بحبّها له، وصولاً إلى مغادرتها المفاجئة له. تأخذ فكرة عنه وترسم صورة له في ذهنها حين قرأت أوّل كتاب له. وعندما رأته وجدته مطابقًا تمامًا للصورة التي رسمتها له انطلاقًا من قراءتها لكتابه[١٥].

ونتيجة هذا الانجذاب الذي يتحوّل حبًّا، بدأت تشعر بأنّ حياتها اكتملت بلقائها معه، وإنّها لو ماتت بعده لما كان عنى لها الموت شيئًا. وأنّ لقاءهما أعطاها في الوقت نفسه قوّة تستطيع أن تستمرّ بها إلى الأبد[١٦].

كما أنّ هذه الشخصيّة تتميّز بعنصر المفاجأة للقارىء، وتأتي هذه المفاجأة منذ بدايات الرواية مع قرارها المفاجيء لترك حبيبها، الأمر الذي يجعلها شخصيّة مركّبة من مجموعة ميزات، ومعقّدة لا تستقرّ على حال، بل هي متغيّرة

[١٢] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٠١، ١٠٢.

[١٣] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١١٤– ١١٥.

[١٤] – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص ١٠١.

[١٥] – رشيد الضعيف، أوكي مع السلامة، ص ١٧.

[١٦] – رشيد الضعيف، أوكي مع السلامة، ص ١٨.

باستمرار. وهذا القرار المفاجيء وإخبار الحبيب بقرارها بكلّ بساطة، يصنع منها شخصيّة مغامرة شجاعة لديها قدرة التأثير الفاعل في علاقتها مع الشخصيات الأخرى. هذه الأمور كلّها تجعلها شخصيّة رئيسيّة محوريّة دينامية. أمّا سيكولوجيًّا، فتنفرد هذه الشخصية عن سائر الشخصيات في آرائها وتصرّفاتها ومواقفها وتأثيرها الفعّال في المسار الدرامي للرواية.

إنّ قدرة المرأة على اتّخاذ قرارها الصارم بنفسها، وتركها الرجل الخمسيني الذي أحبّته، من أجل الارتباط برجل آخر يناسبها أكثر ومن جيلها ومن عمرها، تميّزها كشخصيّة متجدّدة البناء. وهي المرأة العاقلة التي تدرك حدود الأشياء بدقّة لا متناهية حسب قول الراوي[١٧].

يصوّر الضعيف من خلال أحداث الرواية أو كلام الشخصيّات، خاصّة المرأة نفسها، تحرّرَ هذه الأخيرة وقوّة شخصيّتها وثقتها بنفسها في علاقتها مع الآخرين خاصّة مع الرجال وفي عملها الاجتماعي.

كما أنّ الراوي يسرد في مناسبات مختلفة أوصافاً عن مشاعر المرأة وأحاسيسها، وأنّ امرأة روايته الرئيسية تتمتّع بإحساس عال، حيث أنّها رسمت في ذهنها صورة عن كاتب الرواية التي قرأتها، وكانت موقنة بأنّها لو رأته في ما بعد لعرفته[١٨].

هذه المشاعر من قِبل المرأة، هي التي تجعل الرجل يشعر بأحاسيس مماثلة تجاهها، ويسمّيها معجزة. وفي رأيه، المرأة هي التي بإمكانها أن تُحدث معجزة بدون أن تدري[١٩]. وهي التي "تدبّ دبيبًا في العظام كخمرة الأعشى، وتتمشّى في المفاصل كخمرة أبي نواس"[٢٠].

ح_ المرأة الفاعلة

تترك هامة حبيبها فجأة دون إنذار، بعد علاقة دامت سنتين. تتهرّب من حبيبها عدّة أيّام، ثمّ تتّصل به هاتفيًّا لتبلغه بأنّها لن تستطيع الاستمرار في علاقتها معه، لأنّها بحاجة إلى شخص يناسبها أكثر، وقد وجدت هذا الشخص الذي يناسبها أكثر[٢١].

---

[١٧] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٠١.

[١٨] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٧.

[١٩] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٦.

[٢٠] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٧.

[٢١] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٥.

فهامة هي الشخصيّة الفاعلة في هذه الرواية، والرجل الحبيب هو الموضوع. في حين أنّ الأساس في الفكرة التقليديّة عن الحبّ، هو أن نعتبر الرجل المحبّ فاعلاً والحبيبة موضوعًا، إلاّ أنّ المرأة هنا قلبت القضيّة وأصبحت فاعلة. وما يحفزها على فعلها، هو الحبّ.

هامة التي كانت دعت الأديب إلى إلقاء محاضرة في جامعتها، تتقدّم لتتناول شيئًا معه في مقهى قريب، بعد إنتهاء المحاضرة. هذه المرأة الفاعلة، هي التي تقرّر ما يناسب حياتها، ولا تدع نفسها مفعولة من قِبل أحداث الحياة أو من قِبل الرجال[٢٢].

المرأة الفاعلة تقرّر أيضاً بنفسها بأنّها تريد أن تصبح أمًّا وأن تحمل ولدًا من رجل تحبّه، ولا تترك نفسها تحت قرارات الرجل. "أحلم بولد منك تورثُه ذكاء عينيك! حبّلني!"[٢٣]. ولفعل الأمر هذا "حبّلني" دلالة واضحة في أنّ المرأة صاحبة خيار وقرار، وطبعا هذا من أجمل ما يمكن أن يسمعه رجل من امرأة يحبّها وتحبّه[٢٤].

وحتّى في ممارسة الحب، ترفض هذه المرأة أن تُعامل كمحطّة على خطّ قطار، حيث ترى أنّه لا لزوم لممارسة الحب إذا لم يكن لدى الرجل والمرأة الوقت الكافي[٢٥].

لا تجعل المرأة الفاعلة نفسها تحت سيطرة الرجل والحب، بل هي التي تسيطر عليهما. وبعد أن كانت قد أحبّت الكاتب، وتركته، ثمّ أحبّت رجلاً آخر، تعود وتتجاهل أو تتناسى حبّها إليهما، فتقرّر العودة إلى نيويورك، لتستأنف عملها هناك، لأنّ شركتها قرّرت إقفال فرعها في بيروت بسبب الحرب[٢٦].

---

[٢٢] – رشيد الضعيف، أوكي مع السلامة، ص ٢٩.

[٢٣] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٥١.

[٢٤] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٥١.

[٢٥] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٢٠.

[٢٦] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٦٣– ١٦٤.

خ- المرأة المفتخرة بنفسها

من ميزات شخصيّة هامة الدينامية أنّها تفخر بنفسها جسدًا وروحًا وعقلاً، حسب قولها: "بعدني بالثلاثينات!"، كانت تقول بدلال، ممازحة، مُنقصة من عمرها[٢٧].

وبسبب قوّة تأثير هذه المرأة على الشخصيات الأخرى، ونتيجة لفخرها بنفسها، يفخر بها الرجل أيضًا، حيث يقول: "هذه الهديّة: أن تُنصت إليّ سيّدة من وزن هامة بهذا الانتباه وهذا الاهتمام، وأنا أتكلّم عن نفسي ككاتب"[٢٨]. ويضيف: "هذه السيدة تشبه النعمة! تشبه الخير، تشبه العطاء!"[٢٩]. بل ويراها قِبلة له[٣٠]. كما أنّه يراها قادرة بدون أن تدري على أن تُحدث معجزة[٣١].

وفخر الرجل بالمرأة واعتزازه بها، يشمل جميع جوانبها جسدًا وروحًا، حيث إنّه يصفها قائلاً:

"سمراء بقامة سنبلة قمح أو أكثر قليلاً. باسمة، خفيفة الظلّ. لا يفيض وزنها عن لازمه غرامًا واحدًا. تتنقّل كالنسمة أو كالبسمة. أو كراحة البال. عزيزةٌ، كأنّها عابرة على الدوام. من النساء من إذا أحببتَ أخفيتَ حبّك لهنّ خفرًا، أمّا هي فإذا ما أحببتَها أزهرت الطرقات، وتدلّت الورود من على الشرفات. كالفخر!"[٣٢].

وبهذا، يلجأ الكاتب إلى الوصف الانفعالي للمرأة من خلال تبيين مشاعرها وأحاسيسها وكل ما يتعلّق بذلك من تصرّفاتها.

د- النظرة العامّة لقضيّة المرأة

بالرغم من تصوير شخصيّة رئيسيّة قويّة في الرواية، نجد أنّ نظرة الرجل البطل في الرواية إلى المرأة بشكل عامّ وبغضّ النظر عن شخصيّة حبيبته، ومنذ ما قبل التعرّف عليها، هي نظرة سلبيّة، إذ إنّه لا يثق بالمرأة، ويفضّل قضاء الوقت وقضاء حاجته إلى المرأة مع المومس أو مع بعض الصديقات المطلّقات منذ سنين طويلة، بدلاً من أن يختار حبيبة. ولهذه الأسباب أيضًا يحذر من المرأة ولم يتزوّج[٣٣]. حتّى إنّه لا يثق بأمّه وأخته، حيث يعتقد بأنّهما يخونان زوجيهما. يقول: "لم أقع في حياتي كلّها، على أثر

[٢٧] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١١.

[٢٨] – رشيد الضعيف، أوكي مع السلامة، ص ٣٤.

[٢٩] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٣٧.

[٣٠] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٦٩.

[٣١] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٦.

[٣٢] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٢– ١٣.

[٣٣] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٢٦– ٢٧.

يشير إلى أنّ والدتي كانت تخون والدي. لا كلمة ولا هاتف ولا رسالة ولا نظرة ولا شيء. لكنّني كنت وما أزال أعتقد أنّها كانت تخونه، وذلك رغم الأولاد الخمسة الذين أنجبها إيّاهم. ولا برهان لديّ ولا حجّة ولا مستمسك ولا وثيقة ولا شيء. إنّه اعتقاد يشبه الإيمان النابع من الداخل والذي لا يُغلَب..."[٣٤]، وكان هذا الاعتقاد نابعًا من طريقة تصرّف والد الراوي مع زوجته، حيث أنّه كان يريد أن يؤلمها حين يلجها لا أن يلذّها[٣٥].

أمّا أخته فتزوّجت سريعًا بملء إرادتها، وعندها ابنتان اثنتان وابن واحد، لكنّها لم تعد تحبّ زوجها كما كانت سابقًا ولم تعد تكتفي به وهي تخونه[٣٦]. وهذه الأخت، تغار من أخيها وحبّه لامرأة، لأنّها –حسب قول أخيها– لا تشبع ولا ترتوي[٣٧].

لكن بالرغم من عدم ثقته بأمّه وأخته، فإنّه يفكّر بطريقة أخرى بالنسبة إلى المرأة التي يحبّها، إذ إنّه لا يشكّ بها ولا يثق بها في الوقت نفسه، بل هو خارج هذه الإشكالية – إشكالية الشكّ والثقة[٣٨].

اللافت للنظر في هذا النوع من النظرة، أنّها ممزوجة بالسخريّة؛ فالكاتب يسخر من المرأة بقدر ما يسخر من الرجل والمجتمع. وهذه السخريّة ليست إلاّ للدعوة إلى إصلاح المجتمع.

إضافة إلى ذلك، يقدّم الكاتب، إلى جانب المرأة العصرية، نموذجاً من المرأة التقليديّة، من خلال والدته التي تشكو دائمًا من أنّها زُوّجت صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها، وقد أُخرجت من المدرسة لهذا السبب. وكان والده يكبرها بحوالي سبع عشرة سنة[٣٩]. وكانت تصرّح بأنّها كانت تحلم بأن تتابع دراستها لكنّ زوجها كان يفاجئها دائمًا فتحبل[٤٠].

وقد تكون هذه الأفكار هي نتيجة ما رُسّخ في ذهنه بواسطة والده الذي كان يوصيه بأن يترك مسافة بينه وبين زوجته إذا تزوّج، وبأن يناديها بضمير الجمع المخاطب، كما ينادي شخصًا غريبًا[٤١]. وإنّ أقبح صفة في الإنسان حاجته إلى المرأة، وبخاصّة حاجته الجنسيّة، لأنّها تجعله بلا كرامة[٤٢].

---

[٣٤] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٢١.

[٣٥] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٢٢.

[٣٦] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٢٥.

[٣٧] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٥٦.

[٣٨] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٦٠.

[٣٩] – رشيد الضعيف، أوكي مع السلامة، ص ٢٣.

[٤٠] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٢٢.

[٤١] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٩.

[٤٢] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ١٨– ١٩.

كما أنّه قد يكون تأثّر برفاقه الذين كانوا يردّدون بالفرنسية هذه الحكمة: "اتبع المرأة تهرب منك، واهرب منها تتبعك"[٤٣].

وهو، وبالرغم من حبّه الكبير لهامة، فقد تقبّل فكرة انفصالها عنه بسرعة قائلاً "أوكي مع السلامة"، بدون أن يسأل كالعاشق المغدور عن سبب هجر الحبيب الغادر أو أن يعاتبه ويلومه، أو أن يحاول الحصول منه على فرصة أخرى[٤٤].

إضافة إلى ذلك، يذكّر الراوي بفكرة حديثة تتناول علاقة المرأة بالرجل، كان صديقه ينسبها إلى الفيلسوف الفرنسي الشهير جان بول سارتر الذي قال: "لستُ سوى أداة إمتاع للنساء!"[٤٥]. هذه الفكرة عكس النظرة التقليديّة للنساء على أنّهنّ وسيلة لإمتاع الرجال. ففي النظرة الحديثة أصبح الرجل وسيلة لإمتاع المرأة.

ذ– الخاتمة

درسنا شخصيّة المرأة في رواية "أوكي مع السلامة" لرشيد الضعيف، وكيفيّة تطرّق الكاتب إلى هذه الشخصيّة. فتبيّن لنا أنّ الضعيف، ومنذ البداية ومنذ تصميم الغلاف وعنوان الرواية، يَربط علاقة بين العتبات وبين شخصيّة المرأة في روايته.

كما أنّ الكاتب يعالج شخصيّة المرأة العصريّة وتحرّرها، دون أن يهمل النظر إلى المرأة التقليديّة. وبهذا الأمر يضع نمطين متناقضين من أنماط شخصيّة المرأة في العالم العربي، نمط من الجيل السابق وآخر من الجيل الحاضر.

إنّ المرأة الرئيسية في رواية الضعيف، هي امرأة تحظى بصفات المرأة العصرية، وهي كثيرة في البلد الذي يعيش فيه الكاتب أي لبنان. وهي امرأة فاعلة تؤثّر في حركة الرواية، من خلال تأثيرها في مصير نفسها، ومن خلال رفضها أن تكون مفعولة. المرأة التي تفتخر بنفسها لتجعل الرجل يفتخر بها، وهي شخصيّة نامية ديناميّة تتطوّر خلال الرواية وتكشف الجوانب المختلفة من شخصيّتها شيئًا فشيئًا.

يُظهر رشيد الضعيف بطريقته في معالجة موضوع المرأة، بمزيج من السخريّة والجدّ، التزامًا ايدئولوجيًّا اجتماعيًا من نوع جديد لقضيّة المرأة في العالم العربي، وطريقة لإصلاح المجتمع ولتحضير المرأة. وذلك بأسلوب سليم التركيب وقريب من الحياة اليومية.

المصادر والمراجع

– بكر، عبد الحميد، **المرأة في الرواية العربية، بين فعل التمرد وصور القهر الجسدي والنفسي**، مجلة الرافد، ٢٠١٢.

[٤٣] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٦.

[٤٤] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٦

[45] – رشيد الضعيف، المصدر نفسه، ص ٦.

- بوعلي، عبد الرحمن، شخصيات النص السردي، **مجلة علامات في النقد**، ع٨ فيفري ١٩٩٩، ص٧٦.

- سيد عبدالتواب، محمد، **بواكير الرواية، دراسة في تشكّل الرواية العربية**، ٢٠٠٧، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الضعيف، رشيد، **أوكي مع السلامة**، الطبعة الثانية، بيروت، دار الساقي، ٢٠١٣.

- عبد الرزاق، بلال، **مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم**، إفريقيا الشرق ٢٠٠٠، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٠.

- الماضي، شكري، **فنون النثر العربي الحديث**، عمّان، جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٦.

- محفوظ، عبداللطيف، **صيغ التمظهر الروائي، بحث في دلالة الأشكال**، الطبعة الخامسة، ٢٠١٤، دمشق- بيروت، النايا.

- مرتاض، عبدالملك، **في نظرية الرواية: بحث في تقينات السرد**، سلسلة كتب ثقافية شهرية، الكويت، ١٩٩٨.

- هيمة، عبد الحميد، سيميائية الشخصية النسوية في رواية "راس المحنه" لعز الدين جلاوجي، ٢٠٠٩، http://khatab38.forumslog.com/t19-topic

- Boustani, Sobhi, **Le héros chez Rachid ad-Da'îf** : la quête d'une identité, in *Middle Eastern Literature*, vol 12, N° 1, April 2009, Oxford. (16 pages).

- Genette, Gerard, Du Seuil, **Poetique** N. 69, Fev, 1987, ed.